أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

تقرير تحليلي

قراءة إسرائيلية في الانسحاب الروسي التدريجي من سورية

إعداد: د. عدنان أبو عامر

حزيران / يونيو 2022
www.dimensionscenter.net

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

مركز تفكير يُعنى بدراسة شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويُقدّم للقارئ العربي رؤية موضوعية لشؤون المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
ويسعى المركز إلى تقديم محتوى يخاطب المختصين والمهتمين، بلغة بعيدة عن لغة الخبراء والفنيين والأكاديميين، وبتكثيف يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، وما يستلزمه من إيجاز يُلبي احتياجات الباحثين والقراء.

www.dimensionscenter.net

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية - ©2022

info@dimensionscenter.net

تمهيد

بينما تنشغل إسرائيل بالتعامل مع موجة الهجمات الفلسطينية المسلّحة التي تقوض الأمن الشخصي للمستوطنين، فإنها ترصد ما تقول إنها تحرّكات على حدودها الشمالية قد تخلق واقعاً أمنياً جديداً ومقلقاً لها، وتتمثل في نقل روسيا لبعض قواتها من سورية، في اتجاه الأراضي الأوكرانية، التي تشهد حرباً ضارية تدخل شهرها الرابع. وبصورة لافتة، تزايدت التحذيرات الإسرائيلية مما يقال إنه ابتعاد تدريجي للقوات الروسية عن مناطق وجودها في الجغرافيا السورية، بينما يقترب منها الإيرانيون.

وتتحدث الأوساط الإسرائيلية عن وجود قُرابة عشرة آلاف جندي روسي يتمركزون على الأراضي السورية، منتشرين في 12 قاعدة عسكرية، بينها القاعدة البحرية في ميناء اللاذقية. وهناك تسريبات لم يتمّ التأكد من دقتها، تفيد بأن روسيا تسلّم بعض القواعد التي تُخليها من قواتها العسكرية، إلى الحرس الثوري الإيراني، مع العلم أن الفراغ الذي قد يتركه الروس سيدفع الإيرانيين على الفور إلى إحكام قبضتهم على الأراضي السورية.
لا شكّ أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين منشغل حالياً بحربه الصعبة في أوكرانيا، وليس لديه المزيد من الوقت للتعامل مع المشاكل التي تعانيها سورية في هذه المرحلة، حتى لو تضمن ذلك حُلولاً إيرانيّاً بدل قواته المنسحبة تدريجياً في اتجاه أوكرانيا، وذلك على الرغم من وجود إشارات لم تخطئها العين سابقاً حول تنافُس بين موسكو وطهران لتأكيد حصرية القول الفصل لأي منهما في داخل دمشق.

في موازاة ذلك، ترصد المحافل الإسرائيلية التحرّكات السورية الأخيرة، لا سيما ما حصل قبل نحو شهرين، حين فاجأ رئيس النظام بشار الأسد المنطقة بزيارته إلى أبو ظبي، حيث التقى الرئيس الإماراتي الحالي -ولي العهد آنذاك- محمد بن زايد، مما أثار إحساساً وشعوراً في حينه بالرغبة في المصالحة والاقتراب من العالم العربي، عقب إخراج سورية من الجامعة العربية في بدايات الثورة، وفي نفس الوقت إدارة ظهره لإيران، تمهيداً لإخراجها من سورية.

بعد فترة وجيزة، سافر الأسد إلى طهران، وحرص على التأكيد لمضيفيه الإيرانيين على أهمية العلاقة الثنائية الوثيقة التي تمنع الهيمنة الإسرائيلية في المنطقة، فيما أكد مضيفوه أن تعزيز هذه العلاقات ضروريٌّ لهما، واتفقا على استغلال ما وصفاه بـ«ضعف» الولايات المتحدة هذه الأيام أكثر من أي وقت مضى، علماً أن تقديرات إسرائيلية ذكرت أن الوجود الروسي المهيمن على الأراضي السورية ربما أوجد إحباطاً كبيراً لدى الإيرانيين، لأنه يَحُول دون مزيد من التوسع في هذه الأراضي، حيث تسعى موسكو إلى إثبات وجودها ومكانتها في سورية.

وتعمل روسيا باستمرار على وقف نفوذ الإيرانيين في الأراضي السورية؛ لأن وجودهم فيها سمح لهم بإنشاء محور مفتوح بين طهران وبيروت عَبْر دمشق، وزيادة قوة الحرس الثوري في تلك الأراضي بمساعدة ميليشياتهم المسلحة القادمة من العديد من بلدان المنطقة.

وتعتقد دوائر صنع القرار الإسرائيلي أنه مع مرور الوقت، سيشكل الوجود الإيراني في سورية تهديداً آخر لإسرائيل، من خلال جبهة طويلة جداً تمتدّ من جنوب الجولان إلى الجليل الغربي، وهي جبهة من المفترض أن تكون مصدر قلق كبير لها، لا سيما أن إيران ستكون قادرة من خلالها، على تعزيز سلاحها الجوي عَبْر نشر بطاريات صواريخ لمنع سلاح الجو الإسرائيلي من العمل.

المحنة إلى منحة؟

اللافت أنه بينما يتصاعد القلق الإسرائيلي من حلول القوات الإيرانية بدل القوات الروسية المنسحبة من سورية، وَفْق ما يتمّ تسريبه في الفترة الأخيرة، فإن تل أبيب تسعى إلى الحصول على «فرصة من هذا الخطر»، وتحويل «المحنة إلى منحة»، حيث إن هجماتها داخل سورية قد تكون من الآن فصاعداً أكثر سهولة، ولن تكون هناك مخاوف من إلحاق الأذى بالقوات الروسية المنتشرة في مختلف الأراضي السورية.

الفرضية الإسرائيلية المتزايدة في الآونة الأخيرة تدور حول عبارة «الروس يغادرون، والإيرانيون يدخلون»، بالتزامن مع التباعد الروسي الإسرائيلي حول الموقف من حرب أوكرانيا، وتبادُل الاتهامات بينهما بشأن هذه الحرب. صحيح أن خلافاتهما تتعلق بتلك الحرب البعيدة عن سورية، لكن الساحة الرئيسية لترجمة هذه الخلافات المعقدة تجري على الأراضي السورية، حيث تنتشر القوات الروسية في مختلف جغرافيتها منذ سنوات، خاصة في الوسط والشرق، فضلاً عن الشمال حول مدينة حلب الرئيسية، وفي بعض مناطق دمشق، وفي جنوب البلاد المحاذي لإسرائيل.

في الوقت ذاته، يمكن دراسة جملة من العوامل التي تدفع الروس للقيام بخطوتهم المفاجئة، وهي متمثلة في تخفيف وجودهم العسكري في سورية، ولكن من دون دعاية مرتفعة الصوت، وذلك لأنهم مجبرون على تكريس المزيد من الجهد للساحة العسكرية المشتعلة في أوكرانيا. ورغم ما حازت عليه هذه الخطوة الروسية من اهتمام في إسرائيل، إلا أن بعض أوساط الأخيرة العسكرية والأمنية لا ترى أي مغزى ذي قيمة إستراتيجية لتقليص الوجود الروسي لدى جارتها الشمالية.

وتجدر الإشارة إلى أن الروس منعوا حتى الآن، مراراً وتكراراً، إنشاء المزيد من القواعد العسكرية الإيرانية في المزيد من القطاعات الجغرافية السورية، وحالوا دون إقامة تجمّعات عسكرية من الميليشيات التابعة للحرس الثوري، وأحبطوا استيلاء الجنرالات الإيرانيين على الجيش السوري بأكمله، وهو ما اتضح من خلال التغييرات والتعيينات الأخيرة في القيادة العسكرية العُليا في دمشق، بما في ذلك وزير الدفاع.

إلى ذلك، فإن القناعة الإسرائيلية تشير إلى أنه دون وجود روسيا قوية في سورية، فستكون طهران أقوى هناك، مما يشير إلى تعميق لـ«الحفر» الإيراني في البلاد، لا سيما في البُعد العسكري. لكن هذا الأمر يزيد أيضاً من الهجمات الجوية الإسرائيلية الناجحة ضدّ المواقع الإيرانية في الأنحاء السورية. فصحيح أن الإيرانيين يتعرضون للأذى، ووتيرة اقتناء حزب الله للصواريخ الدقيقة تتعثر، لكن إسرائيل غير قادرة في الوقت الحالي على إيقافها إطلاقاً، وهذه معضلة حقيقية لم يتم العثور حتى الآن على حلّ جذري لها.

ليس لإسرائيل وسيلة جدية للتأثير حقاً على اعتبارات الاستعداد الروسي لتخفيف قواتها في سورية، في ضوء زيادة قبضة الإيرانيين على الموقف الميداني هناك، وهو ما يجب أن يُقلِق تل أبيب، علماً أن موسكو، حتى عندما تعاونت مع طهران في دمشق، فقد سعت في الوقت ذاته لتقييد وتقليص الوجود الإيراني، والحدّ من تعمّق تسلّل طهران العسكري والأمني في أجهزة النظام السوري.

موسكو «لن تفرّط» بسورية

رغم كل ما تقدّم من حديث وتقديرات إسرائيلية بَدْء الانسحاب الروسي التدريجي من سورية، فإن أصواتاً أخرى داخل المؤسستين الأمنية والعسكرية في تل أبيب دعت إلى عدم التسرُّع في «تأبين» الوجود الروسي في سورية، على اعتبار أنه ليس من السهل على موسكو التفريط والتخلي نهائياً عن ممتلكاتها ونفوذها الذي دفعت مقابله أثماناً كبيرة، وتقديمها على طبق من ذهب في أيدي الإيرانيين. وبالتالي، هذا ما يجعل فرضية مغادرة الروس فرضية منخفضة.

وإذا كانت المصلحة الروسية تبقى في أوكرانيا، فإن ذلك لا يُجبرها على المفاضلة بين الأخيرة وسورية، فالأولى تُشكِّل لها جداراً أمنياً أمام الأطماع الغربية المقتربة منها من خلال «حلف شمال الأطلسي»، فيما منحتها الثانية فرصة الوصول إلى مياه البحر الأبيض المتوسط، وهو ما شكّل لها ميزة سياسية وعسكرية واقتصادية.

وأمام ما يمكن وصفها بالقراءات الإسرائيلية «المتضاربة» لحقيقة الانسحاب أو البقاء الروسي في سورية بالتزامن مع دخول الحرب الأوكرانية شهرها الرابع، قد يكون من الصواب مُراعَاة الواقع المُعقّد في سورية من وجهة النظر الإسرائيلية، فحتى لو كان هناك دليل على إعادة تموضع القوات الروسية، وإرسال بعضها إلى أوكرانيا، فإن هذا لا يشير إلى تغيير إستراتيجي في استعدادات الروس داخل سورية.

استبعاد الانسحاب الروسي

هناك تفسيرات إسرائيلية عِدّة لاستبعاد حصول الانسحاب الروسي من سورية، رغم حالة الحراك الميداني لقواتها هناك، **أولها** أن هذا الوجود الروسي هو في أي حال محدود، ولا يتطلب موارد غير عادية، حتى في مواجهة التقلّب المستمر في أوكرانيا، و**ثانيها** أن أحد الخطوط الأساسية للإستراتيجية الروسية في مختلف ساحات العالم هو «التأثير الأقصى مع الحد الأدنى من النفقات»، ولعل سورية مثال كلاسيكي على ذلك، حيث أدرك الروس أن بإمكانهم استخدام حدّ أدنى من القوة العسكرية لتحقيق أقصى نتيجة من حيث زيادة تأثيرهم الإقليمي من جهة، ومن جهة أخرى الحدّ من النفوذ الأمريكي في المنطقة، وكسر احتكار الولايات المتحدة كلاعب رئيسي فيها.

تفسير ثالث يعزز تلك الفرضية، وهو أن موسكو أعطت الأولوية لنقطتين إستراتيجيتين ساخنتين في غرب سورية، الميناء البحري في طرطوس والقاعدة الجوية في حميميم، وهما بحكم الأمر الواقع تحت سيطرتها، مع وجود روسي في بُؤَر جغرافية أصغر في شرق وجنوب البلاد، حيث تعمل شرطتها العسكرية المسؤولة عن تهدئة الاشتباكات المتكررة بين قوات النظام والميليشيات الموالية لإيران، مع بعض أجنحة المعارضة. لذلك فإن نقل هذه الشرطة العسكرية، أو القوات المحلية العاملة باسم روسيا، من منطقة انتشار إلى أخرى، وحتى إرسال بعضها إلى الحرب في أوكرانيا، لا يشير إلى إجلاء القوات الروسية من سورية، ولا إلى تغيير إستراتيجي في انتشارها هناك.

تفسير إسرائيلي رابع حول استبعاد حصول الانسحاب الروسي من سورية، يتمثل في أنه منذ بدأ التورط الروسي في إسناد النظام السوري ضدّ معارضيه في أيلول/سبتمبر 2015، استخدمت موسكو سورية كميدان تدريب وساحة اختبار لأدواتها العسكرية، وهو ما شمل فحص ميادين إطلاق النار للأسلحة وفعّالية أنظمة الدفاع، وتنفيذ التدريب القتالي. ويوجد تفسير خامس ذو طابع دبلوماسي، ويتمثل في أن الروس يرون في سورية آخِر بوابة لهم إلى الشرق الأوسط، ومنصة انطلاق لترسيخ مكانتهم الإقليمية والدولية، حيث عززوا على مدى السنوات السبع الماضية، علاقاتهم الدبلوماسية والعسكرية مع مصر وليبيا ودول الخليج وإيران بفضل وجودهم في سورية.

في سياق متصل، تعتبر روسيا أن استمرار وجودها في سورية، بغض النظر عن حجمه وأدواته وعمقه، يشكل أداة تحذير لأساطيل «حلف شمال الأطلسي» المنتشرة هناك، باعتبار أن هذا الوجود هو عامل رادع ومُهدِّد للحلف. وقد أخذ تجليات أكثر وضوحاً في السياق الأوكراني في الفترة الأخيرة، علماً أن الحاجة الروسية للحفاظ على ساحة نفوذها في سورية في الشرق الأوسط تزداد بشكل أكبر.

هنا تتحدث المحافل الإسرائيلية عما تسميه قدرة الإيرانيين على «التكيّف» مع أي من الظروف المتغيرة المرافقة للوجود الروسي في سورية، في ضوء توفّر معطيات إسرائيلية لافتة، قد تبدو غريبة بعض الشيء، وربما تتعارض مع ما سبق توضيحه أعلاه، وتتعلق بما تشهده التشكيلة الإيرانية المنتشرة في سورية من تغييرات، بما في ذلك الانخفاض الكبير في عدد قادتها ومستشاريها، والاعتماد المتزايد على مبعوثيها، بما في ذلك حزب الله والميليشيات الشيعية، وفي الفترة الأخيرة على السوريين المحليين. ولعل ذلك مرده إلى أن هذه التطورات دفعت الإيرانيين، على الأقل في العامين الماضيين، إلى تعميق وجودهم في شرق وشمال سورية، ومناطق سيطرة النظام، من أجل تقليل الانكشاف أمام الهجمات الإسرائيلية.

في غضون ذلك، فإن نقل إيران لقوات إلى شرق سورية نابع من الرغبة في إقامة موطئ قدم على الحدود مع العراق لغرض التهريب، والاقتراب من الحقول النفطية هناك، وتهيئة الأرض لليوم الذي يَلِي إجلاء القوات الأمريكية من سورية. وهو ما يجعلنا نذهب في اتجاه اعتبارها خطة إيرانية إستراتيجية مستمرة لترسيخ وجودها ونفوذها في أعماق سورية، وليست قراراً تكتيكياً نابعاً من تقليص محتمل للوجود الروسي في تلك المناطق.

أخذاً بعين الاعتبار لكل النقاط الواردة، يمكن ربط ما تقدّم بالزيارات المتكررة الأخيرة بين كبار المسؤولين السوريين والإيرانيين، وعلى وجه الخصوص، زيارة الأسد الثانية منذ اندلاع الحرب في سورية إلى طهران في أوائل أيار/ مايو الماضي، وهي زيارة يبدو أنها هدفت للتذكير المُتبادَل بأهمية التحالف الإستراتيجي السائد بينهما، وضمان استمرار الوجود الإيراني في سورية، سواء مع الروس، أو بدونه.

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

\DimensionsCTR
\DimensionsCTR
\dimensionscenter
\dimensionscenter

info@dimensionscenter.net